# الشخصيات التى أقدرها ولماذا؟

## رأى الشيخ احمد السكندرى

### أستاذ الأدب العربى فى دار العلوم

لا يستطيع أحد من الناس أن ينجو من تأثير إحدى الشخصيات عليه ، فالاديب يتأثر طائفة من قادة الادب، والطبيب بدوره يقتدى فى عمله بالنابهين فى مهنة الطب وهكذا دواليك ... على أن البارزين من مفكرينا قلما ذكروا فى بحوثهم تلك الشخصيات التى تأثروها ولكن «المعرفة» قد استطاعت أن تحمل طائفة منهم على البوح بتلك الشخصيات التى يقدرونها ويملأون بها جوانب نفوسهم . وسيرى القراء فى تعدد الشخصيات ما يحملهم على تخيرها لدراستها وتأثر خطاها ، حتى يبلغوا فى ثقافتهم شأو الكمال ...

### مع الأستاذ السكندرى

يطول بنا البحث حين نقص عليك تلك الجوانب التى تتكون منها شخصية العالم الجليل لأستاذ الشيخ السكندرى ، وحسبنا أن نقول عنه : إنه بحاثة مقطوع النظير ، وإنه حجة لا شبيه لها فى مسائل الأدب ، وإنه حين يدفع اليك رأياً من آرائه إنما يحرص على أن يقدمه اليك ملفوفاً فى ألف دليل ، وهو يقوم بمكانة الأستاذ الأول لدراسة الأدب وفقه اللغة فى دار العلوم ، وهو إلى ذلك « مؤلف » خير الكتابة ، ومحقق تلتف من حوله أدمغة جمهرة من مفكرينا لتبلو منه ما يبعثها إلى مواطن السداد . .

ثم ترى بعدئذ أن له ميزة تفرد بها دون أنداده ، هى ميزة « المرح الوقور » فهو يعيش فى القرن العشرين بروحه كلها ، وهو حين يرسل النكتة — وتلك النكتة أجل ما يجب أن يتصف به المدرس المهذب — إنما يرسلها موفورة اللذع، موفورة الأدب، هينة لينة، آسرة لا شائبة فيها ، وقد التقينا به فى داره وسألناه . . أى الشخصيات أحب إليك ولماذا ؟

الجاحظ

أقدر « الجاحظ » أكبر تقدير وأنزله من نفسى مكانة الرعاية والتجلة ، فلقد درست الشخصيات الممتازة التى صدرت عن الشرق فى أشتات عصوره وحقبه ، ولقد كانت هذه الدراسة على نسق عمله كثيرون من أولئك الذين يعنون بالبحث الرحيب . ولكنى لم أكن ملولا ولا متعسفاً ولا خيالياً ، وهذه السنوات المديدة التى أنفقتها فى البحوث الأدبية الخالصة قد دلتنى على أن « الجاحظ » جدير بالخلود ، قمين بالبقاء . ذلك أنه كان أديباً واسع الخيال ، رحيب الصدر جم الاحساس ، وكان عالماً لا يتخذ فى بحثه أسلوب الرواية ، وإنما كان يعمد إلى المنطق وحده ، وكان له فى ذلك ضرب تنقطع دون نواله الرقاب ، فاذا ما تناول بحثاً لم أطرافه وضم ذيوله وانتهى به إلى النتيجة الرائعة فى غير تعقيد . وكان فيلسوفاً من ذلك النوع الذى يعنى ما يقول ، دون أن يسف فى نظرياته الفلسفية إلى الحضيض .

وكان مجدداً .. يحمل المشعل فى أفق الشرق حتى قدر له أن يذيع فى الصوفية مبدأ جديداً هو مبدأ الجاحظية ، الذى أصاب بالغ الذيوع وناله الصيت . وكان إلى ذلك مبتكراً فى أسلوب الكتابة ، لأنه أول من أدخل على الأدب العربى ذلك الأسلوب التهكمى الذى صبغت به الكتابة فى العصر الحديث ، وليس شك فى أنه وحده يدين كتابنا بذلك الأسلوب الفذ الذى تأثروه وأخذوا يعبون من عبابه . ولقد بقيت كتب الجاحظ تحدثنا عن ميزات صاحبها ... تلك الميزات الجليلة التى تفردها بين أنداده فى الشرق أجمعين ...

الخليل بن أحمد

بقيت شخصية أخرى ، ليس فى مقدورى أن أدفع عنها ماهى خليقة به من تقدير الجم ، هى شخصية ذلكم العالم اللغوى « الخليل بن أحمد » الذى استطاع أن يجدد لنا وجوه النحو فهو أستاذ « سيبويه » العظيم ، وهو من ناحية أخرى أول من وضع معجما للغة العربية .. ذلك المعجم الذى استنفد منه دون ريب كثيراً من الجهد والوقت ، والذى بقى إلى اليوم مرجعاً ينهل العلماء من معينه ، ويتدافعون إليه كلما لجت معميات الظنون ....

ولم تكن شهرته وليدة أستاذيته لسيبويه ، ولا ربيبة ذلك المعجم فحسب ، فانه على الرغم من جوازه فى هاتين الناحيتين منتهى الذروة قد خلق فناً جديداً .. هو فن العروض .!

لقد خلق ذلك الفن ولم تكن فى العرب أمة تعرف منه شيئاً ، وخلق له تلك البحور وهذه الأوزان التى قدر لها أن تكون حتى اليوم بعيدة عن نظرية « النشوء والارتقاء » فلم يأت من بعده واحد يجددها أو يزيد فيها لأنه حين خلقها كان قد أرى على الغاية .

لقد رأينا أن العصر الحديث يرفع إلى السماك من يبدع نظرية واحدة فى فن من الفنون ، ولقد رأيناه يرفع إلى الذروة من يبدأ البحث فى واحدة من النظريات دون أن يستكملها . أفليس جديراً بالتقدير ذلك الذى أبدع فناً بأكمله وأبدع معجما بأسره ؟ وتعهد اللغة العربية بعقله الثاقب ، حتى نظم أوابدها ... ؟ . إنها ثلاث صنائع ، وفى يقينى أنها أبقى من الزمن ..!! ع ...